مشروعنا الديمقراطي وما تبقى من فرص

حميد الموسوي

ما تزال العملية السياسية تسير ببطء، وما تزال معظم مشاريعها يشلها الركود وما تزال اكثر القوانيين تتردد بين مجلس الرئاسة ومجلس النواب، وبعض الوزارات الشاغرة على حالها، والموازنة السنوية لم يصادق عليها وتشنجات هنا وتقاطعات هناك وتشكيكات واتهامات ما يؤشر بوضوح وجود ازمة سياسية معقدة وبطبيعة الحال فان بقاء هذه الازمة يعني وجود خلل وتقصير واختلاف في الرؤى وفي مناهج واساليب ادارة هذه الازمة، الحراك السياسي الاخير الذي تبلور عنه نشوء الاتفاقات الرباعية والثلاثية والخماسية، ووصول بعض الاطراف الى قناعة تامة بخطء التصورات السابقة وبضرورة احلال مباديء العدالة والمساواة بدل الاستحواذ والاستئثار والهيمنة على كل المقدرات والامتيازات يجعل من مسألة حل هذه الازمة امرا ممكنا وسهلا شريطة توفر النوايا المخلصة وتنازل مشترك من جميع الاطراف والانطلاق الى بناء علاقة مشتركة اساسها الثقة المتبادلة ووضع المصلحة الوطنية فوق كل اعتبار. لانه لابد للعراق من الخروج من هذه الازمة الخانقة والتفرغ لعملية البناء والاعمار واحلال الامن والاستقرار.

لقد جربت الاطراف المشاركة في العملية السياسية والاطراف التي ما زالت خارجها -خلال الاعوام الاربعة المنصرمة- جربت اساليب عديدة لمعالجة الازمة ومنها الاستعانة باطراف عربية ومحلية واجنبية، فعقدت لهذا الغرض الكثير من المؤتمرات الاقليمية والدولية، صدرت عنها توصيات ومناشدات ومقررات كثيرة ونشأت جراءها وساطات وتدخلات متنوعة لكنها لم تفضي لحلحلة بسيطة للازمة بل زادتها تعقيدا وزادت اطراف العملية السياسية تشتتا وتباعدا واختلافا!.

ولا بد ان جميع قادة العملية السياسية – وبعد مضي كل هذا الوقت من عمر العراق والعراقيين هدرا– قد تنبهوا لما يراد بالعراق وبهم ووعوا حجم الطوفان الذي سيطال الجميع وفداحة الكارثة التي لم ولن تستثني احدا، وانهم سيتحملون وزر وعواقب تعنتهم.

وان التضحيات الجسام التي قدمتها الجماهير العراقية الصابرة –دعما لمسيرة التغيير واسنادا للقوى السياسية التي اخذت على عاتقها مسؤولية قيادة البلاد في اخطر مرحلة من مراحل التاريخ العراقي المعاصر– هذه التضحيات التي تمثلت بالوقوف بوجه اعتى هجمة ارهابية بربرية شهدها العالم القديم والحديث، وانجاح ثلاث عمليات انتخابية واستفتاء سيرا على حقول المفخخات والعبوات وتحت مطر الهاونات والقذائف ووسط حشد الاحزمة الناسفة والمتفجرة، كما تجسدت بالصبر الاسطوري لهذه الجماهير على انعدام الخدمات وشظف العيش وتفشي البطالة والحاجة لابسط مقومات الحياة طيلة السنين الاربعة الماضية، هذه التضحيات لن تتكرر، وهذا الصبر لن يستمر الى ما لا نهاية خاصة وهذه الجماهير ترى وتسمع يوميا وتفصيليا انشغال بعض المسؤولين بمصالحهم الخاصة وتمتعهم بأموال العراقيين باسراف واضح بينما تستمر وتيرة معاناة المواطن المكدود دون ان يلوح في الافق ما يبشر بانفراج الازمات وعودة الحياة الطبيعية والعيش المرفه الكريم. لا شك ان الفرص التي مرت لن تتكرر وان الذي ذهب من عمر العراق والعراقيين هدرا لن يعود ولن يعوض، وان ما تبقى من الوقت والفرص بيد المسؤولين قليل وان ثقة الجماهير اهتزت وتململها آخذ بالتصاعد وقريب من الانفجار فما على المسؤولين الا الاسراع في انهاء الخلافات وتجاوز المصالح الشخصية والحزبية والفئوية لأخراج الأزمة من حالة الركود الى واقع الحل الذي يخدم العراق والعراقيين طالما ان الجميع قد توصلوا الى قناعة كاملة بان التباطوء والتلكوء في اتمام المشروع السياسي الجديد سيعيد العملية الديمقراطية الى خط الشروع وربما يقلب الاستقرار الامني وتراجع العمليات الارهابية واندحارها وانحسارها في معظم مناطق العراق وقد يعيد الاوضاع الى ما كانت عليه في العامين الماضيين بل قد تزداد تدهورا بسبب تراجع المد الشعبي وفتور حماسه.

> **لا شك أن الفرص لن تتكرر وهي تمر مر السحاب.وأن الذي ذهب من عمر العراق والعراقيين هدرا لا ولن يعود ولن يعوض، وان ثقة الجماهير اهتزت ومدها الشعبي فتر وتراجع حماسه، كما ان تململها آخذ بالتصاعد وقريب من الانفجار. وما تبقى من وقت بيد المسؤولين قليل جدا وأي تباطؤ وتلكؤ اضافي سيعيد العملية السياسية الى خط الشروع بل قد ينسف المشروع الديمقراطي من قواعده!.**

صلاح زينل

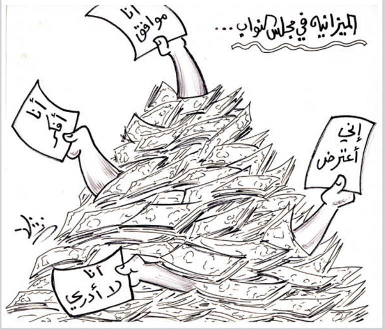

العلم العراقي .. النخلة زهو بلادي

ادمون لاسو

تثار بين فترة واخرى مسألة العلم العراقي، وهو امر مستغرب حقا ان يظل العلم السابق معمولا به لحد الان، رغم اسقاط النظام منذ خمس سنوات"٩ نيسان ٢٠٠٣"، رغم محاولتين جديتين لتغييره اولاهما اثناء فترة مجلس الحكم اواخر نيسان ٢٠٠٤، والاخرى ما اجراه مجلس النواب مؤخرا في ٢٢ /١ /٢٠٠٨ من تغيير جزئي وقتي في للعلم. وانا هنا اكرر ما كنت قد اقترحته منذ اواخر ٢٠٠٣ وما بعدها، من اتخاذ النخلة شعارا مركزيا في العلم العراقي بمفردها، أو محاطة بنهري دجلة والفرات.

فالنخلة هي شجرة العراق المباركة، ورمز الشموخ والعنفوان، اسوة بشجرة الارز اللبنانية التي اتخذت شعارا خالدا في العلم اللبناني: (البار كالنخل يسمو، ومثل ارز لبنان ينمو) مزمور ٩٢ واتخذت ورقة شجرة القيقب "Mapl " كذلك شعارا في العلم الكندي وما اجملها! واوصى الرسول خيرا "بالعمة" النخلة بقوله: "اكرموا عمتكم النخلة" ويأتي ذكر النخلة في الادب العراقي القديم، فيرد في احد النصوص: "النخلة زهو بلادي". وجعلها السومريون رمزا للشمس. وسعف النخيل من علامات الظفر حيث كان يُحمل امام القادة، ويلوح به امام المنتصرين في مواكبهم واحتفالاتهم المختلفة.

والنخلة شجرة عجيبة نادرة، فهي من الاشجار المعمرة دائمة الخضرة، وهي من قلائل الاشجار التي لها جنسين مذكر ومؤنث، لذا فهي استثناء في الاشجار وفخر!.

يقول كمال الدين القاهري في كتابه "حياة النبات والحيوان": "تشبه النخلة الانسان، فالنخلة ذات جذع منتصب، ومنها الذكر والانثى، وانها لا تثمر الا اذ لقحت، واذا قطع رأسها ماتت، واذا تعرض قلبها لصدمة قوية هلكت، واذا قطع سعفها لا تستطيع تعويضه من محله، كما لا يستطيع الانسان تعويض مفاصله، والنخلة مغشاة بالليف الشبيه بشعر الجسم في الانسان، فهل لا تكون هذه الصفات شبيه بصفات البشر؟".

ويقول ابن وحشية كذلك في النخلة: "انها تشبه الانسان من حيث استقامة قدها وطولها، وامتياز فحالها عن اناثها، واختصاصها باللقاح الظاهرللعيان، ولو قطع راسها لهلكت، ولطلعها رائحة المني، ولها غلاف كالمشيمة.. والجمار الذي في رأسها لو اصابته آفة لهلكت النخلة لا محالة، فهو بمنزلة المخ في الانسان اذا اصابته آفة، ولو قطع منها سعفة لا يرجع بدلها فهي كعضو الانسان".

وفي رواية قديمة ينقلها فؤاد جميل على هامش ترجمته لرحلى ليدي دراور "في بلاد الرافدين"، سئل احد العراقيين القدماء.

– ما هي اثمار بلادكم؟

* فاجاب: التمر.

– ثم ماذا؟

* فاجاب التمر ايضا. ولما استغرب من هذا الجواب...

قال العراقي: "اننا نستفيد من النخل فوائد عديدة، فاننا نستظل به من وهج الشمس، وناكل ثمرته، ونعلف ماشيتنا بنواته، ونعلن عن افراحنا بسعفه، ونتخذ من عصاراته عسلا وخمرا، ونصنع من جريده وخوصه الاواني والحصران وغيرها من الاثاث، ونصنع من جذعه خشبا لسقوفنا، واعمدة لبيوتنا، ووقودا لطبخنا".

اما دجلة والفرات فهما نهرا العراق الخالدان اللذان صنعا حضارته المتعاقبة عبر العصور ، ويتواتر ذكرهما كثيرا في النصوص الادبية والدينية القديمة وقد اشاد المعري بنخل العراق ومائه بقوله:

شربنا ماء دجلة خير ماء
وزرنا أشرف الشجر النخيلا

فما اجملك يا علمي وانت تحتضن النخلة الزاهية والنهرين التوأمين الخالدين، وترفرف مزهوا في سماء الوطن.

فاجعة الزنجيلي في الموصل

ذنون محمد/ الموصل

مع غروب شمس ذلك النهار الاسود توشحت الموصل الحدباء بثيابها السوداء هي ايضا معلنة الحداد على المئات من ابنائها الطيبين الذين تحولت دورهم واجسادهم الى قطع من نار ملتهبة بعد ان حولت اطنان من المواد الشديدة الانفجار ذلك اليوم الى كابوس مرعب لن ينساه الموصليون ولسنين عدة.. كيف ينسون صرخات اطفالهم وشيوخهم الذين ودعوا الحياة مكرهين لا لذنب اقترفوه سوى انهم عشقوا العراق والموصل الحدباء بوجه خاص وتمسكوا بترابها الطاهر ارض الاربعين نبيا ومنهم نبي الله يونس صاحب الحوت الذي يرقد على تلة صغيرة في الموصل؟!.

فاجعة الموصل هي مثال عن مأساة دائمه تضرب بسياطها مدن العراق كل يوم. الى متى يستمر هذا المسلسل الدموي المرعب ومتى يتوقف نزيف العراقيين الدائم والمستمر منذ عقود طويلة والى يومنا هذا؟!.. لقد اختلطت دماء ابناء الحدباء بمياه دجلة الباردة وجرفتها تلك التيارات الى مدن العراق الاخرى لتكون رسالة، 'ان الجرح واحد والمأساة واحدة والدم العراقي واحد من شماله الى جنوبه'.. اصبح نهردجله الان حزينا ويبكي بهدوء مع بكاء العراقيين وأصبح دجلة الشاهد الذي يلتهم المأساة بهدوء ودون ان يقول شيئا.. ماذا يقول وهو يشاهد بأم عينيه كيف اختلطت تلك الدماء الطاهرة بمياهه الطاهرة.. انه يهضم المأساة يوما بعد اخر ومن جيل الى آخر، ان دجلة في ذلك اليوم كان اشد الانهار حزنا.. كيف لا وهو يرى ابناءه يتحولون الى رماد في لحظات قلائل وبالجمله؟.

الكثير من دول العالم او جميعها تعلن الحداد لفاجعة بسيطة بينما عراقنا يزخر بتلك الفواجع وفي كل يوم.. ان مصائبنا اكثر بشاعة ودموية من مصائب الاخرين، ان عراقنا اصبح عراق الحزن والالم الدائم.. فمتى تنفرج تلك الغيمة عن سمائنا خصوصا وان غيومنا ما زالت متلبدة بسواد يتساقط دما وليس مطرا؟!.. نهض العالم جميعا لمأساة بسيطة حدثت في غزة بينما يصم العالم اسماعه عن مآسينا المستمرة.. المئات من الجثث العراقية تودع الارض مكرهة كل يوم واصوات اطفالنا وبكائهم الدائم عانق السماء العالية طالبا الرحمة من رب كريم وليس من عبد لئيم يعبث في الارض فسادا.

ان مجزرة الموصل واحدة من مجازر العصر الرهيب ابكت مدينة الربيعين والعراق جميعا بكاءا مرا وتحولت الموصل الى مجلس عزاء واحد ينعي المئات من ابنائها الاوفياء الذين تحولت دورهم الى اكوام من الرماد والقطع المتناثرة.. ولكن عزاءنا الوحيد ان هذه الجثث البريئة ذهبت عند رب كريم لا يظلم لديه المظلوم قيد انملة وحلقت كطيور في جنانه الواسعه التي احتضنت هؤلاء بهدوء الرحمة الواسعة الغفران.. ان الكثيرين من ابناء العراق اصبحوا الوقود الذي يرمى الى المحرقة، تلك المحرقة التي لم تعد تفرق بين اي مكون فالهدف هو شعب العراق بأي نسيج فيه.. فيجب علينا وعلى ساستنا اولا اصلاح ما يمكن اصلاحه تجنبا لكوارث اشد فتكا خصوصا وان عراق اليوم اصبح الساحة الاكثر دموية في العالم اجمع وما مجزرة الزنجيلي البشعة إلا رقم بسيط ومؤلم يضاف الى سلسلة اعمال اجرامية استهدفت الفرد العراقي.

ثقافة الحرية في مجتمعنا*

د. اخلاص الطيار

كيف يمكن ان توجد وتتأسس وتمارس ثقافة الحرية ضمن بنية المجتمع القابل لاشكال وصور متعددة من القيم والافكار والمعتقدات المختلفة فيما بينها والتي تعاني من تاريخ طويل من الصراعات والتناحر والتشظي ضمن بنية المجتمع الحامل لاشكال كثيرة من الاقصاء والتهميش الممارس من قبل ذات المركز، وهنا ذات المركز نقصد بها الثقافة الرسمية التي تمنع تعددية الاطراف، ومن ثم يغرق المجتمع ككل بثقافة الواحد المتعدد الكمال والهيبة والتقدير وكل صفات التجلي البشري غير الماثل امام الواقع وصورته العيانية، فثقافة الحرية تترسخ من خلال تعددية الحقيقة ذاتها، اي عدم وجود حقيقة جاهزة نهائية تفرض على المجتمع نسقها الكلياني، ومن ثم تغدو النهاية والحدود لكل شئ، ومن ثم يغدو ذلك مدعاة للجمود والتلاشي القيمي والمعرفي والفكري، بحيث لايمكن للذات البشرية ان تبدع او تنتج الجديد والمغاير عن نسق الثقافة الرسمية او عن ذات المركز.

فالحرية مكتسب انساني من حيث الفطرة والخلق والبداية البشرية للوجود الفردي الانساني، ولكن الذي يعمل على تمثل الاطر والانساق المرتبطة بعاملي النهاية وعدم التسامح حتى مع الحقيقة ذاتها يوجد من رحم المجتمعات التي عطل فيها دور العقل، ومن ثم لاتوجد هناك اية ميكانزمات محركة للوعي والمعرفة، ومن ثم التغيير والتطور، وذلك يعود الى الاجهزة المفاهيمية التي تملكها هذه المجتمعات من حيث تأصيلها لجانب معين من الحقيقة والمعرفة لايمكن تجاوزها او محاولة زعزعة اسسها وجميع عوامل انبثاقها المعرفي والوجودي، والحرية مكتسب بشري تحققه الحضارة ذاتها من حيث امكانية التجاوز والنقد المستمر لكل ما يشكل الاطار والبناء القيمي والمعرفي. فالحضارة الحديثة لم توجد بكل مكتسباتها من حيث الايجاب والسلب إلا بعد قرون طويلة من الصراعات والنزاعات المستمرة بين قيم الماضي القديم وبين قيم الابداع والتجديد التي بدأت بوادرها منذ عصر النهضة وظهور الثورة الصناعية التي احدثت شرخا كبيرا في طبيعة العلاقات الاجتماعية والثقافية، ومن ثم استطاعت هذه الثورات الاولى ان تزحزح عامل امتلاك الحقيقة المطلقة، الذي كان يتمسك به الملك بأعتباره صاحب الحق الالهي والتفويض المطلق باصدار القوانين والتحكم بارواح البشر وكل مايتعلق بالشؤون الارضية الدنيوية او تلك المرتبطة بالعالم القدسي المفارق لجوهر الانسان وطبيعته البشرية، حيث استطاعت الفلسفة الغربية من خلال ديكارت ان تنتصر للعقل ومن ثم تؤسس الكيان الجديد القائم على العلم وان الانسان من الممكن ان يكون مسيطرا على الطبيعة ومن ثم هو مالكها الوحيد، هكذا كانت تتمثل طروحات التقدم التي انجزتها الحداثة واستمرت الى اجيال اخرى من الفلاسفة وعباقرة الفكر في تاريخ الغرب الحديث متمثلا بهيوم وجون لوك وبركلي وشلينج وهيجل وكانت ونيتشه وماركس وفرويد.

لقد استطاعت الفلسفة الحديثة ان تتقدم الى الامام خطوات كبيرة لم تستطع الذات البشرية المتأخرة عن جوهر الحداثة والمدنية ان تجترحها، وذلك بسبب عوامل كثيرة تتعلق بمنظومة المعرفة والعقائد والافكار السائدة لديها إظافة الى تأثير الصراع الطويل بين المتقدم الغني الحديث وبين الذات التي لاتملك الجرأة على نقد مجتمعها ومن ثم هي ذات معطلة من حيث الابداع والابتكار تتمثل الاجترار المنعزل للافكار والازمنة وكل عوامل انبثاق الجديد الذي هو في النهاية مرتبط بأصل المعرفة التي تمتلك ليس إلا.

فالحضارة الحديثة عندما دخلت مجتمعاتنا لم تتمثل داخل وعيها اي مجتمعاتنا عن طريق الصراع والتنافس القابل الى حدوث امتزاج معرفي جديد قادر على ان يضفي التوازن، ومن ثم لايحدث خللا في تركيبة مجتمعاتنا التي تعاني من فقدان التأقلم أو الاندماج مع الحداثة، وذلك نراه بشدة من خلال عودة اكثر التيارات الاصولية المتشددة التي لاتعرف من الحقيقة سوى تلك التي تمتلك، وهي بالضرورة حقيقة نهائية غير متسامحة مع الاخرين الذين يختلفون عن نسقها وجوهرها.

فالمجتمعات التي تعاني من الاضطهاد والتغييب والانحسار القيمي لافكارها ووجودها من الممكن ان تؤبد ضمن مستقبلها القادم الكثير من التطرف،على عكس المجتمعات التي متأصل فيها طابع الحرية، فأن اية افكار او ايديولوجيا جديدة تظهر لايمكن ان يمارس عليها الاقصاء والطرد، ومن ثم لاتملك هذه الافكار في النهاية طابع التشدد والغاء الاخرين، ومن ثم تساهم بدورها في اخصاب الجانب المعرفي والعلمي التطوري وخصوصا إذا كانت معنية بالانسان وجودا ومستقبلا.

ان الحرية تنمو وتزدهر في مجتمع لاتوجد فيه دولة استبدادية تعمل وفق منهج امتلاك الحقيقة المطلقة، حيث لابد ان يساعد عامل انبثاق الحريات جميعا وجود دولة مرنة ومتسامحة وقادرة على ضم الجميع وعدم تأسيس كيانات بشرية تعاني الاقصاء والتهميش، ومن ثم تصبح عدوا للدولة وعائقا امام التغيير والتطور المراد له ان يتجذر بشكل مستمر داخل نسق المجتمع.

ان مجتمعاتنا منذ ازمنة طويلة، وهي تجتر كل شئ قابل الى ولادة الاستبداد والتسلط ومن ثم بقائها ضمن حالة قارة ثابتة تعاني عقد البداوة والتصحر الانساني والثقافي الى حد بعيد، حيث لو اطلع باحث ما على تاريخ العراق على سبيل المثال يجده عودا ابديا ومستمرا للهيمنة والتلاشي الانساني والوجودي، ومن ثم لاتوجد هناك اية قطائع من شأنها ان تحدث الاختلاف والتغييرمع الماضي القائم على الانفصال عن بنية التطور والانفتاح على كل ماهو جديد ومدهش، ومن ثم عالم افضل وحياة مختلفة، وبما اننا مقبلون على كتابة دستورا جديدا للعراق الواحد الديمقراطي لابد يشترط ضمن ذلك الدستور عنصري الحرية والقدرة المستمرة للتعديل والتجاوز بما يخدم التطورات التي تحدث في بلدنا والتي من شأنها ان تعزز او توصل مسألة الحريات بشكل عام، فالانتخابات التي حدثت مؤخرا في العراق لم تكن نتاجا طبيعيا لتراث انتخابي او تأصيل ديمقراطي راسخ في ذهنية وثقافة المجتمع، ومن ثم يجب ان لايكتب الدستور اعتمادا على درجة الفائزين في الانتخابات، ومن ثم لايعد لدينا دستورا من الممكن ان يعاني من تكلس ماضوي او من جمود طويل لايمكن تجاوزه او ممارسة التعديل عليه، فمجتمعاتنا كما هو معروف تعاني من غياب المدنية بعد عقود طويلة من الافراغ والافقار لكل عوامل النمو والتطور داخل بنية المجتمع العراقي.

في النهاية لا يمكن ان تتأسس شروط انتاج الحرية إلا من خلال وجود دولة متسامحة مع الجميع ومنفتحة على الثقافة بشكل عام اي لديها عامل النسبية في التعامل مع الحقيقة والمعرفة والتاريخ ومجمل التصورات التي ينتجها الفكر البشري، بحيث لاتوصل تجربة معينة او نموذج معين من شأنه ان يحد من القدرة على الاستمرار والخلق والتجديد، هذه الدولة لاتمثل عامل انفصال عن بنية المجتمع، ومن ثم لديها الكثير من المؤسسات المنبثقة من المجتمع ذاته، ومن ثم هي مختلفة الى حد بعيد عن دولة الاستبداد السلطوية، التي تحتوي على جهاز عجيب من المراقبة والعقاب اللانهائيين على جسد الانسان وروحه، ومن ثم هي دولة يعنيها مسألة الرفاه الاقتصادي وعدم وجود تناقضات طبقية هائلة داخل نسيجها الاجتماعي.

* موقع كتابات